

وقد يبدو هذا الوضع طبيعياً بالنسبة الى القارئ العربي ، الا انه ليس كذلك بالنسبة الى الاسرائيليين — وهو موقف له ما يدعوه لدى الجانب الاسرائيلي ، اذا ما قيس بالمواقف المتبادلة للعرب والصهيونية ، بعضهم من بعض ، خلال الاربعين عاما الاخيرة ، على الاقل . فأحد اسس النظرية الصهيونية يدعو ، صراحة ، الى أن يكف العرب عن « التدخل » في القضية الفلسطينية ، ويتركوا هذه الناحية لتعامل مباشر للصهيونية مع عرب فلسطين ، على أمل أن يتم لها ابتلاع البلد اولاً ثم الاتجاه الى التعامل مع الشعوب العربية الاخرى من خلال قاعدتها هناك ، بل أن أكثر من مؤرخ صهيوني سجل « احتجاجه » ضد بريطانيا التي دعت مندوبي الدول العربية الى حضور المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩ ، قبيل الحرب العالمية الثانية ، باشتراك ممثلين عمن عرب فلسطين والحركة الصهيونية ليجاد حل للقضية الفلسطينية ، لانها بعملها ذلك أقرت رسمياً مبدأ « تدخل » الدول العربية في هذه القضية .

وإذا كانت تلك هي النظرية فان الممارسة ، خلال الخمسة والعشرين عاما الاخيرة على الاقل ، جاءت لتدعمها على أحسن وجه . فالخلافات التي كانت قائمة بين الدول العربية خلال ١٩٤٨/١٩٤٩ ساعدت الاسرائيليين ، كما هو معروف ، على شن حربهم ضد القوات العربية بالطرق التي اختاروها هم لانفسهم وضرب الجيوش العربية واحدا بعد الآخر ، ثم اغتصاب ذلك الجزء من فلسطين الذي استطاعوا اغتصابه يومها . ولم تتغير هذه الحالة حتى بعد ذلك ، وعلى الرغم من التجربة التي مر العرب بها . فخلال فترة العمليات الاسرائيلية الانتقامية الاولى ضد الدول العربية ( ١٩٥٣ — ١٩٥٦ ) هاجمت اسرائيل ، في حالات عديدة ، أكثر من مكان في أكثر من دولة ، دون أن تهب أية دولة لمساعدة الاخرى مساعدة فعلية ، حتى خلال الفترات التي كانت فيها قيادات عربية مشتركة . وفي اواخر سنة ١٩٥٦ ، خاضت مصر لوحدها حرب سيناء ضد اسرائيل ، التي لم توجه اليها اية ضغوط من اية دولة عربية اخرى . أما في حرب ١٩٦٧ ، فقد تجلت التفرقة العربية على « ابهى » صورها ، عندما كانت اسرائيل تنفرد بكل جبهة على حدة لتجهز عليها ، ثم تقوم بنقل جنودها واسلحتها ، في وضح النهار وعلى مرأى ومسمع من العرب والعالم ، الى جبهة اخرى لتحطيمها . وبقيت الحال على ما هي عليه حتى بعد حرب حزيران ( يونيو ) . ولا تزال الطريقة ، التي كانت تتبعها اسرائيل في شن اعتداءاتها على هذه الدولة او تلك في المكان والزمان اللذين تختارهما ، دون أي حساب لمواقف الدول الباقية ، ماثلة للعيان . ولا عجب ، إذن ، والحالة هذه ان نرى العديد من القادة والمفكرين الاسرائيليين يطور نظريات امنية لاسرائيل تنص ، بين ما تنص عليه ، على عدم الأخذ بعين الاعتبار اي عمل عربي جماعي جاد في حالة صدام اسرائيلي مع هذه الدولة العربية او تلك ، بحيث تستطيع اسرائيل اختيار فريستها كما ترغب ، ولا شك في ان التضامن العربي الرائع ، بين مختلف الدول العربية ، الذي تجلى خلال هذه الحرب ، قد قلب تلك النظريات رأساً على عقب ، وواقع الخبراء أو مدعي الخبرة بالشؤون العربية لدى الاسرائيليين في حيرة مذهلة — اذ ليس العرب وحدهم غير قادرين ، احياناً ، على فهم الواقع العربي . ولكن مهما يكن من دوافع هذا التضامن ، فمن المؤكد انه سيكون ذا تأثير بعيد المدى في موقف من العرب في المستقبل ، فاصطلاح « العالم العربي » قد يكون مبهماً في هذا المجال أو ذلك ، غير أنه بالنسبة الى اسرائيل ، وفي حالات معينة على الاقل ، وأضح جداً . وقد لا نستغرب بعد هذا ان نرى في المستقبل ، ربما القريب جداً ، بروز نظريات امن جديدة تدعو ، هذه المرة ، الى عكس ما كانت تدعو اليه في السابق ، مع — ربما — المبالغة في تقويم مدى التضامن العربي ، وبالتالي التريث قبل البدء بمغامرات جديدة ضد العرب . ويبدو ان هذه النظريات بدأت تتبلور فعلاً ، مثبتة من عبارة « ان منطق العرب ليس